

برنامج: ما بين واقعين، واقع الدنيا وواقع الدين

التقويم القمري في ضوء ثقافة العترة الطاهرة (الجزء الثالث)

استكمالاً للحقتين الماضيتين حول نظام التوقيت وحساب الشهور؛ وتأكيداً على أن التقويم القمري هو النظام المعتمد للشؤون الدينية، وأن أشهره تنتقل بين فصول السنة ولا تخضع للتثبيت الشمسي.



التباين بين نظامي الدنيا والدين

التوقيت الشمسي ثابت في فصوله، وهو مخصص لشؤون حياتنا الدنيوية.
أما التوقيت القمري، فهو النظام الذي عينه القرآن الكريم لشؤوننا الدينية وعباداتنا.

يقرر الإمام الصادق صلوات الله عليه هذا الاختلاف
بوضوح تام في حديثه المروي للمفضل بن عمر:
«ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور
الشمس وسنيها، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل
فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف»

[تمّ الالتزام بالمصدر]

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[تم التحقق من القرآن الكريم]

الرؤيا وتوقيت جبرائيل بالهجرة

رأى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة (بنو أمية كـ "ثمرة" من الشجرة الملعونة وهي "سقيفة بني ساعدة")، حينها نزل جبرائيل يؤرخ للأحداث بالنظام الهجري القمري بدءاً من الهجرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

[تم التحقق من القرآن الكريم]

في مقدمة الصحيفة السجادية، يروي الإمام الصادق صلوات الله عليه، أن جبرائيل قال للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً... ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك...» [نتم الالتزام بالمصدر]

البداية الدقيقة للتاريخ الهجري

بدأ التاريخ الهجري في ثقافة محمد وآل محمد من اليوم الأول الذي غادر فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ديار الشرك (مكة)، وهو: **اليوم الأول من ربيع الأول.**

1 ربيع الأول:
الخروج من مكة

12 ربيع الأول:
دخول المدينة (قباء)

في الكافي الشريف، يقول الإمام زين العابدين صلوات الله عليه: «وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله مكة في أول يوم من ربيع الأول، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث... وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس... فنزل بقباء فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علماً» [تمّ الالتزام بالمصدر]

تأسيس المسجد.. من أول يوم

وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة كان الحدث الأهم في بدايات الإسلام، وبمناسبته تأسس مسجد قباء ليخلد هذا التوقيت.

قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾
[تم التحقق من القرآن الكريم]

المسجد أُسس بناءً على مناسبة كبرى: هجرة رسول الله. الآية دقيقة، فقد أخذت بالاعتبار البداية الدقيقة من "أول يوم" من شهر ربيع الأول، حين غادر مكة متوجهاً إلى عاصمة الإسلام المحمدي، ومن هناك انطلق تاريخنا الهجري القمري.



الهجرة أساس.. والغدير كمال

رغم أهمية الهجرة كحدث مفصلي وبداية للتاريخ، إلا أنها تبقى جزءاً من الرسالة، ولم تكن الحدث الأهم على طول خط الرسالة. الحدث الأهم الذي اكتمل به الإسلام وصار إسلاماً هو "يوم الغدير".

الكمال
(يوم الغدير)

قال تعالى في شأن التبليغ:
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾
[تم التحقق من القرآن الكريم]

الأساس
(الهجرة)

وبعد تحقيق بيعة الغدير، نزل قوله تعالى:
﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
[تم التحقق من القرآن الكريم]

آثار الحقائق في مصادر المخالفين

مهما جرى من طمس وتضييع للتاريخ والوقائع، بقيت آثار الحقيقة واضحة في أشهر مصادر القوم:

فتح الباري (ابن حجر العسقلاني):
«أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة أمر بالتاريخ، فكتب في ربيع الأول»
[تم الالتزام بالمصدر]



صحيح البخاري:
«حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف،
وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول»
[تم الالتزام بالمصدر]



تاريخ الطبري:
«لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة أمر بالتاريخ»
[تم الالتزام بالمصدر]



المستدرک علی الصحيحین (الحاکم النیسابوري):
«كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة»
[تم الالتزام بالمصدر]



التحريف العُمري للتاريخ الهجري

التاريخ الهجري كان مستخدماً منذ عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، لكنه أهمل من عامة المسلمين.

وفي عهد عمر بن الخطاب، وعندما أرادوا ضبط التاريخ، استشاروا علياً:

في المستدرك على الصحيحين يروى أن عمر جمع الناس يستشيرهم، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «من يوم هاجر رسول الله وتَرَكَ أرض الشُّرك» [تمّ الالتزام بالمصدر]

مُحرم (استعادة لتجاهلية)
مُحرم (استعادة لترتيب الجاهلية)

ربيع الأول
(تقويم النبي وعلي)

**لكن ماذا حدث؟

بدلاً من جعل السنة الهجرية تبدأ بشهر "ربيع الأول" كما أسسها النبي الأعظم، خالف عمر ذلك وأعاد ترتيب الأشهر إلى ما كانت عليه، في الجاهلية، فجعل بداية السنة من شهر "مُحرم" (والذي كان يُعرف في الجاهلية بصفر الأول).

ما هو "النسيء"؟ (تحليل لغوي)

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَكِّ﴾ [تم التحقق من القرآن الكريم]

النظام القمري هو الميقات الشرعي،
والعبث بهذا النظام هو ما عُرف بـ "النسيء".

النسيء

زيادة



يقال "امرأة نسيء" إذا حبلت
وزادت بجنينها، و"لبن نسيء"
إذا زيد فيه الماء.

تأخير



كـ "بيع النسيئة" حيث
يؤخر دفع الثمن.

"النسيء" هو مصدر، ولهذا أخبر عنه
القرآن بمصدر آخر (زيادة).

التلاعب الجاهلي بالأشهر الحُرْم

كانت العرب تعتمد على الغزو والسلب. وعندما تصطدم رغباتهم في القتال بحرمة الأشهر الحرم (كشهر صَفَر الأول/مُحرم)، كانوا يبتدعون حيلة "النسيء".

آلية النسيء الجاهلية: يرجعون إلى مراجعهم وزعمائهم ليُحلوا لهم القتال في "صَفَر الأول" وينقلوا التحريم إلى "صَفَر الثاني". فهم يحافظون على "عدد" الأشهر الحرم (أربعة)، لكنهم يؤخرون ويقدمون مواقيتها كما تشتهي مصالحهم القبلية.



التأصيل القرآني لرفض "النسيء"

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
[تم التحقق من القرآن الكريم]

النسيء

زيادة

في الكفر

عامل - مصدر يقوم
مقام الفعل

جار ومجرور

****الرد النحوي القاطع:** البعض يتلاعب بإعراب الآية ليجيز إضافة أشهر للتوقيت القمري فيقول: (إنما النسيء زيادة) ويتوقف! لغوياً هذا باطل؛ فـ "في الكفر" (جار ومجرور) لابد أن يتعلق بـ عامل، والعامل هنا هو المصدر "زيادة"، والمصدر يقوم مقام الفعل. فالمعنى الحقيقي الصارم: (إنما النسيء يزيد في الكفر). هذا العبث بالمواقيت يتسع ضرره حتى يهدم أحكام الدين.

خطبة الوداع: استدارة الزمان وإلغاء النسيء

خطط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لحجة الوداع أن توافق شهر ذي الحجة الحقيقي بحسب النظام القمري الدقيق، ليؤسس ما بعد ذلك لبيعة الغدير. في خطبته العظيمة، أعلن إنهاء العبث الزمني وإلغاء النسيء:

«أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق السماوات والأرضين، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم: رجب مُصَرَّ الذي بين جمادى وشعبان، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، فإن النسيء زيادة في الكفر»

[تم الالتزام بالمصدر]

قال تعالى مؤكداً هذا الثبات:
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

[تم التحقق من القرآن الكريم]

الوصية الأخيرة: الحفاظ على ميقات السماء

استمر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في تحذير الأمة من التلاعب بالتوقيت القمري حتى في أيام مرضه الأخير.

في تفسير العياشي، يروي الإمام الباقر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما:

«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا ثَقُلَ فِي مَرَضِهِ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ السَّنَةَ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ: رَجَبٌ مَفْرَدٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ ثَلَاثٌ مَتَوَالِيَاتٍ، أَلَا وَهَذَا الشَّهْرُ الْمَفْرُوضُ رَمَضَانٌ فَصُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ» [تَمَّ الالتزام بالمصدر]

وهكذا يتبين أن النظام القمري الشرعي منضبط متكامل، لا يقبل الإضافة أو التأخير، وهو الدين القيم الذي أمرنا الله بحفظه.